المجلة العربية للعلوم الإنسانية

قضايا أساسية في ظاهرة التنغيم في اللغة العربية

محمد صالح الضالع*

* حصل على الدكتوراه في الصوتيات واللسانيات من جامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1984. يعمل أستاذاً مساعداً بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية.

الملخص

تناول البحث الأسباب الأساسية لإغفال علماء العربية القدماء ظاهرة التنغيم. وقد تبين أن التنغيم لم يشكل عنصراً في النظام الأصواتي (الفونولوجي) للغة العربية وبخاصة اللغة التراثية، وأن العربية اعتمدت على مجموعة من الأدوات تعبر بها عن الأغراض النحوية؛ مثل الاستفهام والتقرير والتوكيد والتعجب، وأخرى عن الإنكار والسخرية والتوبيخ واللوم... الخ.

وهي في ذلك تختلف عن لغات تقوم قوالب التنغيم فيها بالتعبير عن هذه الأغراض والمشاعر. وهذه القوالب التنغيمية عناصر أصيلة في نظاميها الأصواتي والنحوي. وأقوى مثال لهذا الصنف من اللغات اللغة الإنجليزية، حيث كثرت قوالبها وتنوعت.

واعتمد البحث عند وصفه لطبيعة اللغة العربية وسلوكها في هذه الظاهرة على تراتبية العلامات التي تستخدم في بناء الاستفهام التصديقي وفق نظرية الوسمية، وهي بدءاً بالأكثر موسومية وهبوطاً إلى الأقل موسومية:

1 - التنغيم.
2 - الوسائل النحوية والصرفية.
3 - نظام الكلم.
4 - اللواحق.

وقد يجتمع أكثر من نمط من الأنماط أو علامة من العلامات الأربع في لغة واحدة، ولكن علينا أن نفرق بين الفونولوجي والصوتي.

وأقام البحث مناقشته لبعض قضايا التنغيم في اللغة العربية على الأسس التالية:

1 - قابل البحث فيها بين نهج اللغة التنغيمية (اللغة الإنجليزية) ونهج اللغة الأدواتية أو شبه الأدواتية (اللغة الألمانية واللغة الفرنسية) في بناء الجمل.
2 - وضح البحث اهتمام النحاة بالأدوات وحروف المعاني لما لها من دور في دقة الدلالة، وكان ذلك وراء إهمالهم ظاهرة التنغيم.
3 - وضح البحث اهتمام علماء التجويد بطرق الأداء والتلاوة التي تختلف عن التنغيم بمعناه الاصطلاحي.
4 - استعان البحث بشواهد توضح استخدام الأدوات اللاحقة أو اللواحق للتعبير عن أمور نحوية أو انفعالية، من أمثلة وردت في لهجتين عربيتين: الكويتية الحضرية، والليبية البنغازية.
5 - قدم البحث الأنموذج الفونولجي الذي اقترحه لافر مع بعض التصرف، حيث يتبين لنا من خلاله مدى اعتراف لغة ما بمنظومية التنغيم.

مقدمة

على الرغم من إحاطة العرب القدماء بالتحليل اللغوي الدقيق والدرس النحوي العميق للغة العربية ونصوصها لم نعثر - حسب علمي - على ما يدل على تناولهم لظاهرتي النبر والتنغيم. ومع أنهم قدموا لنا في علمي التجويد والقراءات ما تناولوه عن الوقف والاستغراق الزمني، وهما من المظاهر التطريزية prosodic أو الفوقطعية suprasegmental التي تشمل النبر والتنغيم إلى جانب هاتين الظاهرتين، فلم يذكروا عنهما شيئا ولو بأوجز عبارة تدل على وجودهما في اللغة العربية وإحساس القدماء بهما.

وبطبيعة الحال لا تخلو أي لغة طبيعية من نبر وتنغيم. فهما يتحققان في أي كلام منطوق في أي لغة من اللغات الحية[1]. واللغة العربية كانت قديماً - وما زالت حديثا - إحدى اللغات الحية؛ فمن الطبيعي أن يوجد بها نبر وتنغيم قديما، كما يوجدان بها حديثاً.

ويرى الباحث أن القدماء أهملوا هاتين الظاهرتين لأنه لم يكن لهما أي تأثير لغوي أو فونولوجي. ولكن النبر بطبيعة الحال موجود في اللغة العربية على المستوى الصوتي phonetic أي في التحقيق الصوتي غير الوظيفي، لدرجة أن بعض علماء الصوتيات الغربيين يضعون اللغة العربية في قائمة اللغات ذات الإيقاع النبري Stress-timed language عند تصنيفهم للغات العالم من الناحية الإيقاعية[2].

والتنغيم موجود أيضاً في اللغة العربية في المستوى الصوتي phonetic level بصورة بسيطة بالمقارنة مع بعض اللغات الأخرى مثل الإنجليزية التي توجد بها أنماط وأشكال عديدة لتنغيم الجمل من الناحية النحوية (استفهام، أو تقرير، أو توكيد، أو تعجب)، ومن نواح أخرى مثل اتجاه المتكلم أو السامع للموضوع[3].

وتشترك معظم اللغات البشرية في سمات عامة، فتسود الغلالة النغمية الصاعدة أو تنتهي بنغمة صاعدة في جملة الاستفهام (أو الجملة الإنشائية بعامة)، وتسود الغلالة النغمية الهابطة أو تنتهي بنغمة هابطة في الجملة الخبرية. وتبرز هذه

السمات بدرجة أقوى في الجمل التي لا يوجد بها أدوات نحوية تختص بالغرض النحوي المقصود. فمثلا في الجمل الاستفهامية التي تبدأ بكلمات استفهامية في اللغة الإنجليزية (Wh questions) لا يظهر فيها النغمة الصاعدة. أما في الجمل التي لا تحتوي هذه الكلمات الاستفهامية، وبخاصة في الأسئلة التي يجاب عنها بلا أو نعم (التصديقية) (Yes-no questions)، فيمتطي التنغيم الصاعد نطق الجملة حتى لو ظهرت في صورة كلمة[4].

تصنيف اللغات حسب الاستفهام التصديقي

يختلف نظام كل لغة أو كل مجموعة من اللغات عن الأخرى في صياغتها لأنواع الجملة من تقريرية وتوكيدية وظنية، واستفهامية، وطلبية وتعجبية.. إلخ. فمثلا بعض اللغات يغلب فيها صوغ التنغيم بقوالب متعددة تناسب مرام المتكلم ومقام الموقف، والبعض الآخر يغلب فيه استعمال الوسائل النحوية مثل أسماء الاستفهام وحروفه.

ويمكن لنا أن نضع أنماطاً أربعة رئيسة نصنف بها لغات العالم بالنسبة لصوغ الأسئلة، وهي:

1 - التنغيم.

2 - الوسائل النحوية والصرفية.

3 - نظام الكلم.

4 - اللواحق.

وعلى حين أن هذه أنماط رئيسة قد يجتمع منها في لغة من اللغات أكثر من نمط، فإن المعول في التصنيف على شيوع الاستعمال في الكلام الواقعي المنطوق. مثلا، تستعمل اللغة الانجليزية الأنواع الثلاثة الأولى، ولكنها توصف بأنها لغة تنغيمية السيادة الأنماط والقوالب التنغيمية في جملها وتعبيرها.

التنغيم هو أقل الأنماط موسومية markedness، فمعظم اللغات تستعمله إما منفردا وإما مضافا إلى الأنماط والوسائل الأخرى[5] وهو أول ما يكتسبه الطفل معبرا به عن أسئلته وندائه[6].

وعلى الرغم من أن التنغيم أول شيء يكتسبه الطفل، فإنه يعد من الأمور التي يصعب تعلمها واكتسابها لدى الغرباء عن اللغة، وذلك لصعوبة قواعده وتعقدها أحيانا وبخاصة في لغة تنغيمية تزخر بقوالب وأنماط كثيرة ومتنوعة كاللغة الإنجليزية البريطانية.

والوسائل النحوية الصرفية أكثر موسومية من التنغيم فتشيع كلمات الاستفهام في كثير من اللغات. وتنتظم أداة الاستفهام في الجملة مكونة سؤالا بنفسها مع الغلالة التنغيمية، أو مع تغيير في ترتيب الكلمات في الجملة، أو باشتراك ثلاث الظواهر جميعا. ويقول ترفورت Tervoort نقلا عن ريشلنج Reichling:

«تترابط الكلمات وتتجمع حسب ظواهر ثلاث: قواعد التتابع، وقوالب التنغيم، وفي بعض اللغات، الارتباط بين العلاقات الصرفية»[7].

ويرى هاليداي Halliday الوظائف التركيبية قسيما للتنغيم حيث يقول: «قد نرى كلا من الوظائف التركيبية والملامح التنغيمية تحققات لاختيارين في الأبواب الثلاثة: التعدي، والموجهات، والموضوع المحوري»[8].

وقد استخلص هاليداي ذلك بعد عرض للوظائف والاختيارات في الجملة الإنجليزية: تقريرية أو استفهامية فقال:

«تشتق الوظيفة البنائية للجملة من مجموعة متغيرات داخل النظام. فيمكن أخذها من باب التعدية، أو من باب الموجهات mood، أو من باب الموضوع (الكلمة المحورية في الجملة) theme. ويحدد كل متغير مجموعة مختلفة من الوظائف التركيبية. ففي باب التعدي نجد وظائف مثل القائم بالعمل، والهدف، والمستفيد. وفي باب الجهة نجد وظائف مثل المسند إليه، والمسند. وفي باب

الموضوع المحوري نجد وظائف مثل المعروف والجديد»[9]. وفي اللغة العربية تبنى الأسئلة ببدء الجملة بأداة الاستفهام طلبا للتصديق أو التصور.

يصنف النحاة العرب أدوات الاستفهام إلى نوعين: أدوات التصديق وهما: الهمزة وهل، وأدوات التصور، ومنها: أين، ومتى، وكيف... الخ.

ويقابل هذا التصنيف تصنيف كرتندن Cruttenden[10] إلى:

الأسئلة عن نعم ولا yes/no interrogatives، والأسئلة عن غير ذلك question word interrigatives. وقد توسم الأسئلة التي تطلب التصديق نحويا في اللغات بوسائل مختلفة:

1 - باستعمال أداة particle تختص بذلك أو تتصل بنهاية الكلمة enclitic.

(كما يوجد في الروسية واللاتينية).

2 - باستعمال تصريف خاص بالفعل (كما في الجرينلاندية).

3 - بترتيب الكلم في جملة السؤال ترتيباً يختص بذلك (كما في الإنجليزية) وتستعمل معظم اللغات التنغيم علامة إضافية في الأسئلة. وهناك لغات تعتمد فقط على التنغيم في التفريق بين التقرير والاستفهام، مثل البرتغالية واليونانية الحديثة.

تستعمل بعض اللغات نظام الكلم word-order في التفريق بين الجملة الاستفهامية والجملة التقريرية. ففي الإنجليزية تصاغ الأسئلة بتعاكس inversion ترتيب الفاعل والفعل الأول مثل:

Are they happy?

Where is he?

وقد تميزت بعض اللغات بذلك لغياب علامات الإعراب الدالة على وظيفة الكلمة في الجملة. أما اللغات الإعرابية inflectional مثل العربية واللاتينية فلها بعض الحرية في ترتيب كلمات الجملة، فبعض الوظائف النحوية تحدد موقع الكلمة في الجملة وبخاصة في بعض الوظائف التي لها الصدارة.

ويلاحظ أن استعمال اللواحق في بناء الجمل الاستفهامية قليل في لغات العالم، وهو أكثر أنماط الاستفهام موسومية[11]. ومن أمثلة ما يوجد في الروسية: TOBOP Tb-ЛIOH«هل تكلم (هو)؟» فاللاحقة أو الموصول الإنشائي للاستفهام JH أداة تدل على الاستفهام التصديقي yes/no Question تلحق بآخر الفعل[12].

وفي اللاتينية Venitne هل جاء (هو)؟ بإضافة ne إلى الفعل الدال على المفرد الغائب venit[13] في اللغة التجرينية Tigrinia (في أثيوبيا) تلحق الأداة (do) في آخر الجمل كي تدل على الاستفهام التصديقي: John nati magbi bali uwo do?[14].

هل هـ أكل طعام الـ . . . جون

«هل أكل جون الطعام؟».

وتوجد أمثلة لهذا النوع في بعض اللهجات العربية. ففي لهجة بنغازي الليبية يصاغ السؤال التصديقي بإلحاق الصائت الطويل [:0] في آخر الجملة أو في آخر الكلمة المطلوب تصديقها. فقد سمعت من يسأل البقال: عندك حليبو «هل يوجد لديك حليب؟» وسمعت أيضا طالبة تسأل زميلتها: «هل تقصدين سعاد؟» بقولها: سعادو. ونفس السؤال عن «فاطمة» بإبدال التاء ألفا وتحويل الصائت الطويل: 0 (أداة الاستفهام) إلى واو: فاطماو[15].

اللغات التنغيمية واللغات الأدواتية Intonation Ls vs Particle Ls

لم يدرس التنغيم في اللغة العربية دراسة شاملة وموسعة، على حين أنه في الإنجليزية درس دراسة مستفيضة توصلت إلى تفاصيل قوالب التنغيم ودقائقه. وقد حاول بعض الباحثين أن يقارنوا هذه الثروة البحثية واللسانية بما هو موجود في بعض اللغات الأخرى مثل الفرنسية والألمانية، فلم يعثروا على مثل تلك الظلال المتنوعة والدقيقة الموجودة في قوالب التنغيم الإنجليزية.

ففي الفرنسية ثروة من الوسائل النحوية لا يوجد ما يقابلها في اللغة الإنجليزية، حيث تقوم تلك الأدوات أو الوسائل ببعض النواحي التأثيرية التي

تقوم بها بعض قوالب التنغيم الإنجليزية. وأطلقوا على تلك الأدوات والأساليب «النحو التأثيري» la syntaxe affective»[16].

وأيضا في اللغة الألمانية تقوم الأدوات والأفعال الناسخة أو الموجهات modals بتلك الوظائف التي تقابل بعض قوالب التنغيم، وفي الوقت نفسه لا تلغي تلك الأدوات والأفعال القوالب الإنشائية والخبرية والانفعالية للتنغيم[17].

وتشرح ماريا شوبيجر Maria Schubiger[18] مسألة الظلال المختلفة لكل من التنغيم في الإنجليزية واستعمال الأدوات النحوية في الألمانية، فتبين التشابه المشترك في اللغتين. فكما أن الوظيفة الأساسية لقوالب التنغيم في الإنجليزية قد لا يبقى إلا ظلها أو يذوي تماماً، فالأدوات particles في الألمانية قد يَنْحي مفهومها الدلالي الأصلي بصورة قوية أو ضعيفة.

فمثلا في اللغة الإنجليزية يدل تنغيم الجملة:

It\ isn't ⌄ bad

على دلالة تضمينية تضاف إلى دلالتها الأساسية مؤداها: (ليس الأمر حسنا أيضا)، حيث عبرت النغمة الهابطة الصاعدة عن التضمين المطلوب. وفي الجملة:

\Mind you don't ⌄ fall

تضيف النغمة نفسها تحذيرا إلى جانب الأمر أو النهي. وفي اللغة الألمانية تتضمن الجملة:

Ist es auch wahr?

إن المخاطب قالها وأنها صحيحة. ونلاحظ هنا أن مفهوم العطف للأداة auch قد اختفى تماما، وصارت الأداة ذات دلالة انفعالية فحسب. وهكذا نرى أحيانا أن إضافة الأداة في الجملة الألمانية أمر ضروري فالجملة Ist es auch wahr? تختلف عن الجملة Ist es wahr?.

وكذلك الجملة الإنجليزية: **It\ isn't ⌄ d**

تختلف عن **It\ isn't\ bad**

وفي حالات أخرى وخاصة في الجمل التعجبية يجوز للمرء أن يضيف الأداة ويختار اختيارا حرا بين التركيبين. ففي الألمانية يمكنك أن تقول: Bist du elegant! أو Bist du aber elegant!. ويقابلها في الإنجليزية أن تختار أحد القالبين التنغيمين: You\ are, elegant أو You^are, elegant.

وقد قارنت ماريا شوبيجر بعض الجمل الإنجليزية محمولة على قالب تنغيمي معين بنظائرها المترجمة إلى الألمانية، وقد أدت الأداة النحوية مضمون القالب التنغيمي الإنجليزي الذي تدل فحواه على:

من طريقة كلامك يعتقد المخاطب أنك لم تعرف الأمر أو تجهل الظروف والملابسات. ويصلح هذا النوع من السياق للمقارنة، حيث يعبر عنه في الإنجليزية بالتنغيم فقط، وفي الألمانية بأداة نحوية غير منبورة وهي في معظم الحالات doch.

فالنواة nuclear التي تحملها النغمة الهابطة في الإنجليزية مسبوقة بنغمة أو أكثر، خفيفة أو صاعدة تدريجياً:

I sent it to you three days ago
Ich hab sie Ihnen doch shon vor drei
Tagen zuruckge schickt.

وفي حالة شخص بدا عليه أنه لم يلاحظ إشارتنا السابقة:

That's, just what I^said.
Das hab ich doch eben gesagt.

أما في حالة شخص ينكر لومنا له < لماذا إذن تلومني > .

I've, done all I can
Ich hab doch mein Moglichstes getan.

وقد أتت الترجمة الفرنسية بالظرف pourtant مكافئا للقالب التنغيمي الإنجليزي:

J'ai pourtant fait tout ce que j'ai pu.

وفي الأمر والطلب أتت الترجمة الفرنسية بالأداة donc.

فمثلا يطلب من فتاة تقف بلا عمل أو مشاركة:

في الإنجليزية: Give me a^hand, Anna

في الفرنسية: Aidez-moi donc.

وهذه الجملة مترجمة من الأصل الألماني لإحدى مسرحيات M. Frisch

Biedermann und die Brandstifter.

Spectaculum II. Suhrkamp 1959.

(العنوان بالإنجليزية The fire raisers)

والجملة في الأصل الألماني: Helfen Sie mir doch, Anna.

اللغة العربية لغة أدواتية

تتميز اللغة العربية بتنوع الأدوات النحوية وتعددها، فلكل ملمح نحوي أو بلاغي أو قولي أداة أو أدوات ذات ظلال نفسية أو إبلاغية تختص بغرض من الأغراض، أو جهة من الجهات أو قصد يعنيه المتكلم. فمثلا يختلف النداء عن الندبة وعن الاستغاثة، وتختلف وسائل التوكيد عن وسائل الانفعال من طرب وتعجب وفخر وتفجع. وكأي لغة بشرية تسعى اللغة العربية نحو تبسيط نظامها اللغوي والعلاماتي تيسيرا لمستعمليها، فتقوم بعض الأدوات بعدة أغراض أو مقاصد يحددها التركيب أو السياق مثل أداة النداء (يا أو أيا، أو هيا أو وا) تستخدم في أغراض أخرى غير مجرد النداء[19]. وقد ذكر أحمد بن فارس في كتابه (الصاحبي) أنها تأتي للنداء، والدعاء، وللتعجب في المدح، وللتعجب في الذم، وللتلهف والتأفف، وللتنبيه وللتلذذ[20].

وفي هذا الصدد يقول ابن يعيش في شرحه لمفصل الزمخشري عند شرحه لأسلوب الندبة: [21].

«اعلم أن المندوب مدعو، ولذلك ذكر مع فصول النداء لكنه على سبيل التفجع، فأنت تدعوه وإن كنت تعلم أنه لا يستجيب كما تدعو المستغاث به... أتوا في أوله بياء أو واو لمد الصوت. ولما كان يسلك في الندبة والنوح مذهب التطريب زادوا الألف آخرا للترنم كما يأتون بها في القوافي المطلقة وخصوصا بالألف دون الواو أو الياء، لأن المد فيها أمكن من أختيها، واعلم أن الألف تفتح كل حركة قبلها، ضمة كانت أو كسرة، لأن الألف لا يكون قبلها إلا

مفتوحا اللهم أن يخاف لبس، فحينئذ لا تغير الحركة، فنقول وازيدا، وإذا وقفت على الألف ألحقت الهاء في الوقف محافظة عليها لخفائها...».

وتستخدم الصوائت الطويلة (أصوات المد: ا، و، ي) وأكثرها الألف في نوع من أنواع الاستفهام وهو الاستفهام الإنكاري، فيقول كتاب الأمالي لأبي علي القالي[22]:

«وحدثنا أبو بكر بن دريد رحمه الله تعالى قال: أخبرنا أبو حاتم سهل بن محمد عن العتبي قال: أخبرني أعرابي عن إخوة ثلاثة قال: قلت لأحدهم: أخبرني عن أخيك زيد، فقال: أَزَيْدٍ إنيه، والله ما رأيت أحداً أَسْكن فَورا، ولا أَبْعد غوْرا، ولا آخذ لذنبِ حُجةٍ قد تَقَدَّم رأْسُها مِنْ زيد. فقلت: أخبرني عن أخيك زائد، قال: كان والله شديد العُقْدة، ليِّن العَطْفة، ما يُرضيه أقلُّ مما يسخطه، فقلت: فأخبرني عن نَفْسك، فقال: والله إن أفضل ما في لمعرفتي بفضلهما، وإني مع ذلك لغير منتشر الرأي، ولا مخذول العزم.

قال أبو علي: قال أبو زيد الأنصاري قال الكلابيون: إذا قالوا: رأيت زيداً قلنا: زيداً إنيه بقطع الألف وتبيين النون. وقال بعضهم: زَيْدَ نِّيهْ فألقى الهمز وحَرَّكه بالفتح على نون التنوين وثَقَّل النون. وقال أبو المَضَاء: أَزيْدا إنيهْ فأتى بألف الاستفهام قبل زيد، ولم يفسره أبو زيد.

قال أبو علي: هذه الزيادة تلحق في الاستفهام في آخر الكلمة إذا أنكرت أن يكون رَأيُ المتكلم على ما ذَكَر، أو يكون على خلاف ما ذكر، فإن كان ما قبله مفتوحاً كانت الزيادة ألفا، وإن كان مكسورا كانت الزيادة ياء، وإن كان مرفوعاً كانت الزيادة واواً، وإن كان ساكناً حرك لئلا يلتقيَ ساكنان لأن هذه الزيادات مَدّات، والمدات سواكن، فتحركه بالكسر كما يحرك الساكن إذا لقيه الألف واللام الساكن، فإذا قال الرجل: رأيت زيدا قلت أَزَيْدَنيهْ لأن النون هي التنوين ساكنة فحركتها بالكسر لئلا يلتقي ساكنان. ويقول: قدم زيد، فتقول أَزَيْدُنيهْ، فإن قال: رأيت عثمان، قلت: أَعُثْماناهْ، فإن قال: أتاني عُمَرُ قلت: أَعُمَرُوه) كما قلت في النُّدْبة: واغُلامَهُوهُ، لأن هذا عَلَمٌ لما ذكرتُ لك كما أن هذا علم للنُّدْبة.

وذكر سيبويه: أنه سمع رجلا من أهل البادية وقيل له: أتخْرُج أن أخْصَبَت البادية؟ فقال: أنَا إنيْه، وإنما نكر أن يكون رأيه على خلاف الخروج، وكل ما ذكرت، إما أن تُنْكر على المخبر أن يَثْبَت رأيه ما ذَكَر، أو أن يكون على خلاف ما ذَكَر، فإن قال: رأيت زيداً وعمرا قلت: أزيْداً وعَمْرَ نيهْ تكون الزيادة في منتهى الكلام، ألا ترى أنه إذا قال: ضَرَبْت قلت: أضربتاه، فإن قال: ضربت عُمَر قلت: أضْرَبْت عُمَراه، وكذلك إن قال: ضربت زيدا الطويل قلت: أزيدا الطَّويلاه، وتُعْرب الاسم الذي ذكره على ما أعربه، فإن كان رفعا رفعته وإن كان نصبا نصبته وإن كان جرّا جَرَرْته، ألا ترى أنه لو قال: مررت بحَذَام قلت: أحَذاميهْ، وربما زادت العرب إيضاحا للعلم، ولذلك قالوا: إنيه لأن الهاء والياء خَفيَّان والهمزة والنون واضحان كما زادوا إن في قولهم: ما إنْ فَعَلْتُ كذا وكذا.

قال أبو علي: سألت أبا محمد فقلت له: لِم لَمَ يقولوا إنَاهْ؟ فقال: لأن الألف علامة لحركة النون وتبيين لها، وقد سبقت فلَم يجز أن يقيموا علامة محدثة ويسقطوا علامة متقدمة وهما علامتان، فأما ما حكاه أبو زيد من قوله: أزيْدَنيْهْ بثقيل النون فإنما هذا على لغة من يقف على الحرف بالتشديد كما قالوا: سَبْسَبّ وكَلْكَلّ، فكذلك هذا وَقَفَ على زَيْدَنّ فشدّد، فلما ألحق به علامة حركه بالكسر لأنه توهم أن التنوين أصل فلذلك قال أزَيْدنِّيه. وقرأنا على أبي بكر بن دريد رحمه الله لجَنْدلَ الطُّهَويّ:

قد خَرَّبَ الأنْضادَ نُشَّادُ الحَلَق مِنْ كلّ بالٍ وَجهُه بالي الخَلَقَ

النَّضد: ما ينضد من أمتعتهم وأزوادهم ناحية البيت، فيعني أن قوما يجيئون بعلة أنهم ينشدون إبلا فنحتاج إلى أن نقريهم فيخربون أنضادنا. ويعني بالحلق إبلا سماتها الحلق.

وقد ظهر ما يشبه هذا التركيب في بعض اللهجات العربية المعاصرة مستخدما في جمل إنشائية مثل الاستفهام والنداء وسنذكر مثالين من لهجتي: الكويت الحضرية وبنغازي الليبية.

في اللهجة الكويتية الحضرية يستخدم الصائت الطويل [:o] علامة إما للتصغير (تصغير التمليح) أو للنداء (النداء الغاضب). فمثلا ينادي طفل اسمه شهاب بتصغير تمليح «شِهَيّب». أما في حالة غضب أبيه أو أمه فإنه ينادي «شهَابُو» وبخاصة عندما يتعدى عمره اثنتي عشرة سنة. وتطرد القاعدة في معظم أسماء الأشخاص ذكوراً وإناثاً في مجتمع اللهجة. وفيمايلي نورد بعض الأمثلة:

الاسم	تصغير تمليح	تصغير تحقير أحيانا	تصغير تودد أو نداء أو نداء غاضب
سالم	سلّوم		سالمو
حيدر			حيدرو
طلحة	طليّح		طلحو
بدر	بدّور		بدرو
خالد	خلّود	خويلد	خلدو
عائشة	عوّاشة	عويشة	عايشو
حنان	حنّونة		حنانو
مريم	مريومة		مريمو
سلطان	سليطين		سلطانو
أحمد	حمادة		أحمدو

لاحظنا من القائمة السابقة إضافة الصائت [:o] إلى آخر الاسم المنادى بالنداء الغاضب. وقد عد أبناء اللهجة هذا الصائت علامة للتدليل، حيث يستعمل للتدليل مع الصغار(الأطفال قبل سن المراهقة)، وتعد إهانة(تحقير) عندما تستعمل مع الكبار(مع بعض الأسماء). ولذلك آثرنا أن نطلق على هذه العلامة أداة النداء الغاضب، وخاصة عند استعمالها مع نداء أو مخاطبة بعض أسماء الكبار[23].

ويبدو أن الصائت [:0] (الضمة الطويلة) أداة نداء بعدية، أي توضع في آخر الكلمة أو بعد الكلمة المقصودة وليس قبلها كما هو الحال مع أدوات النداء والاستغاثة المعروفة(الهمزة والياء والواو). وكل من النوعين القبلي والبعدي موجود في اللغات السامية. ففي اللغات السامية توجد أدوات نحوية قبلية مثل حروف الجر والشرط والنداء، وأدوات بعدية مثل التنوين وعلامات الإعراب. وقد تقع بعض الأدوات قبلية وبعدية مثل أدوات التوكيد، فالحروف إن وأن واللام تقع قبلية، أما النون فتقع بعدية. وفي اللغة العربية تقع أداة التعريف قبلية، أما في السريانية فتقع بعدية مثل: «الـ + رجل» ܓܒܪ + ܐ (تنطق بالعربية جَبْ = «رجل» والألف للتعريف فتنطق الكلمة المعرفة جَبْرَا)[24].

ويبدو أيضا أن أداة النداء الغاضب أو التصغير تطورت من الواو اللينة الصامتية semi-vowel إلى الواو المدية الصائتية Long vowel، ثم خفضت الضمة الطويلة أو أرخيت إلى [:0] لوقوعها في آخر الكلمة حيث تقل شدتها tenseness وتصير رخوة lax. فكلما ارتفع الجزء من اللسان بالصائت المقصود زادت شدته أو توتره، وكلما انخفض قلت شدته وتوتره ويصير رخوا. والمقابل الرخو للضمة المتوترة [u] هو الصائت [ʊ] الذي تطور في هذه الحالة إلى [:O].

ويلتقي هذا الصائت مع باقي الأدوات الانفعالية مثل مَدة التذكار، ومد الاستغاثة والندبة، ومع الواو والياء في النداء وفي غيره من الأساليب الإنشائية.

وفي لهجة بنغازي (قاريونس) العربية الليبية يلحق ابن اللهجة الصائت [:O] في نهاية اسم الشخص المنادى (في حالة النداء)، وفي حالة أخرى فريدة في نوعها - بخاصة في اللهجات العربية - وهي إلحاق الصائت (شبه الضمة الطويلة) عند آخر المنطوق الاستفهامي التصديقي، كلمة كانت أو جملة. فمثلا يسأل شخص البقال: عَنْدَكْ حَليبُو؟ (هل لديك حليب؟).

هذا بالإضافة إلى الغلالة النغمية الصاعدة للجملة الاستفهامية كما سنرى في الجزء الأخير من هذا البحث.

وظيفة الصائت الملحق في اللهجة إذن هي التحديد الإنشائي/ الخبري للجملة، ألا وهو الاستفهام التصديقي(طلب الإجابة بلا أو نعم) دون غيره من الوظائف النحوية الأخرى التي يقوم بها التنغيم مثل التقرير والتعجب. وهو مؤشر لجملة سابقة محذوفة أو مقدرة مؤداها: أنا أسأل، أو أريد أن أتأكد، أو أريد أن أعرف. وقد أطلق بولينجر Bolinger على هذا النوع من الجمل «الجملة العليا» Super-sentence[25]. ثم أردف بولينجر قائلاً:

«لا يوجد عادة في اللغة الإنجليزية كلمات تكشف عن تلك الجمل أو تدل عليها، ويقوم التنغيم بدورها»[26].

كما بينا وسنبين فقد وجدت كلمات في بعض اللغات - منها اللغة العربية التراثية أو المشتركة - تقوم بأدوار التنغيم في الجملة مثل أدوات التوكيد والتعجب والاستفهام والإنكار. فلم تعرف اللغة العربية التنغيم في نظامها النحوي العميق، واستعملت بدلا منه أدوات وأصواتاً قطعية Segmental للتعبير عن الاستفهام والتوكيد والتعجب، وأيضاً للتعبير عن النداء والاستغاثة والندبة وغيرها من الأمور الانفعالية مثل الفخر والتواضع. وقد تختفي الأداة في النداء حين تختفي الحاجة إليها إذا كان النداء معنويا يستدل عليه بالسياق أو بقرينة التنغيم نحو قوله تعالى: ﴿**يوسف أعرض عن هذا**﴾[27] وقد رأى بعض النحاة أن يدرج النداء والاستغاثة والندبة والتعجب والاختصاص في باب نحوي واحد يختص بحالة النصب للاسم المقصود في الجملة الخاصة بكل أسلوب[28]. ولكن الدكتور طارق الجنابي يرى عكس ذلك، فيرى أن لكل أسلوب تنغيمه وطريقته في الصياغة والتركيب، وأن المنادى ليس بمنصوب، واستدل على ذلك بدلائل في اختلاف إعرابه وبنائه في بعض الحالات، ثم يبين ضعف ما ذهب إليه النحاة قائلا:

«والنداء من الأساليب التي عرض لها ما ذكرنا، ووقعت في إسار التمحل والافتراض، وجردت من روحها اللغوي، وشوه بعض صورتها الحقيقية... وبأن ثمة عللا صوتية ذات أثر بالغ في فهم هذه التراكيب وطبيعتها الاجتماعية»[29].

وقد وصف القدماء أداة النداء (يا) بأنها تستعمل في تعابير انفعالية عديدة؛ فقد ذكر أحمد بن فارس أنها تأتي للنداء وللدعاء والتعجب في المدح، وللتعجب في الذم، وللتلهف والتأفف وللتنبيه وللتلذذ. وفي حالة الندبة والاستغاثة تستخدم الأداة (وا) في بداية الكلمة أو العبارة المندوبة والمستغاثة مع إلحاق ألف وهاء سكت في آخرها، كما في: «وامعتصماه» و«واحر قلباه».

والياء والواو في زمرة صوتية وصرفية معا. فهما من أصوات اللين والجرس sonorant، ويتبادلان في تصريف الكلمات وبنائها وتشكيلها، ويشتركان في التحول إلى همزة في الجذور أو الأصول المعتلة، وفي التحول إلى ألف. وعلى ذلك يمكننا أن نرد (يا) و(وا) إلى أصل مجرد واحد للأداة النحوية. أضف إلى ذلك أن (وا) قد تحل في آخر الكلمة بدلا من بدايتها للتعبير عن أسلوب إنشائي أو انفعالي، ونجد أمثلة على ذلك في اللهجات العربية المعاصرة. فقد لاحظنا إضافة الصائت الطويل [:0] في آخر الكلمة المسئول عنها في لهجة بنغازي الليبية، وفي آخر اسم الشخص المراد نداؤه أو مخاطبته أو تصغيره في لهجة الحضر الكويتية. وهناك كبير شبه بين هذا الصائت وبين الواو من النواحي الصوتية والصرفية والوظيفية.

ولكن الاحتمال الأقوى هنا أن تتطور الألف الملحقة في التعابير الانفعالية (النداء والندبة والاستغاثة) إلى صائت مضموم أشبه بالألف المفخمة بعد حذف الأداة بمعناها الشامل في شكل المورفيم غير المتصل discontinuous morpheme: يا. . . . آه. وفي هذه المسألة يقول ابن هشام:

«وأما الفراء فتمسك بأن قال: الأصل في النداء أن يقال «يا زيداه»، كالندبة فيكون الاسم بين صوتين مديدين - وهما «يا» في أول الاسم، والألف في آخره - والاسم فيه ليس بفاعل ولا مفعول ولا مضاف إليه، فلما كثر في كلامهم استغنوا بالصوت الأول وهو «يا» في أوله عن الثاني وهو الألف في آخره، فحذفوها وبنوا آخر الاسم على الضم تشبيها بقبل وبعد. . .»[30].

ويبدو في حالتي الاستفهام (لهجة بنغازي) والنداء (لهجة الحضر بالكويت) أن ما حذف هو الجزء البادىء من أداة النداء أو الإنشاء وهو «يا»، وبقى الجزء

الثاني وهو صوت الألف. أما هاء السكت فهي مجرد سكت كما ذكر القدماء[31]. وصار الألف مفخما أو مضموما [back - rounded] وحدة صرفية متصلة، تقابل ما يطلق عليه اللسانيون clitics. وهذه الوحدة المتصلة clitic مصطلح يستعمله دارسو أجرومية اللغة، ويقصد به: أي بناء أو حشو من صوت فأكثر يشبه الكلمة لا ينفرد حرا بنفسه، ويلحق بناء كلمة، مثل الضمائر المتصلة في اللغة العربية، وفي الصيغ المختزلة للأفعال المساعدة وللرابطة contracted forms مثل I'm. he's:

ويصنف الدارسون الوحدات المتصلة إلى نوعين:

1 - وحدة متصلة بادئة proclitic وهي وحدة تلحق في بداية الكلمة.

2 - وحدة متصلة لاحقة enclitic وهي وحدة تلحق في آخر الكلمة.

وعلى ذلك يمكننا أن نصف كلا من الألف المفخمة الاستفهامية في لهجة بنغازي والألف المفخمة الندائية بالوحدة المتصلة اللاحقة في لهجة الكويت.

التنغيم في اللغة العربية

ينفي معظم الدارسين العرب المحدثين[32] أن تكون فكرتا النبر والتنغيم في الجملة معروفتين لدى علماء العربية القدماء، وقد ظن البعض[33]عكس ذلك أي أن العرب قد عرفوا ظاهرتي النبر والتنغيم من خلال ما قاله ابن جني في «الخصائص» جـ ٢، ص ٣٧٠ - ٣٧١. هذا نصه[34]:

«وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها. وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سيرَ عَلَيْهِ لَيْل، وهم يريدون ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعاً أو كريما أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه

فتستغني بذلك عن وصفه بقولك، إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لئيماً أو لحزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك».

وأرى أن نص ابن جني لا يدل على تنبهه إلى النبر أو التنغيم، ولكنه يدل على تنبهه إلى الوسائل الصوتية والحركية غير اللغوية التي تضاف إلى الوحدات اللغوية وتحيط بها معبرة عن دلالات مقصودة حسب الموقف والمقام والحال. فمن الوسائل الصوتية الرمزية التي يستعين بها المتكلم في تلوين كلامه وتصوير ألفاظه: التفخيم كما يحدث عندما ننطق كلمة «كبير» بلفظ مفخم يتسع فيه التجويف الفموي لتصوير العظم والمبالغة في الضخامة، والترقيق كما يحدث عندما ننطق كلمة «صغير» بلفظ مرقق يضيق فيه التجويف الفموي لتصوير الضآلة وقلة الحجم، وإطالة الحركات القصيرة ومطل الحركات الطويلة ومدها تصويرا للطول أو البعد. وقد يصاحب هذه الوسائل الصوتية حركات جسمية أو إشارية. وقد أطلق متشل Mitchell على هذا النوع من الأداء الصوتي «التلوين الانفعالي» affective colouring[35]. ويرى أنه من غير الممكن أن نفصل دائما بين هذا النوع من التلوين الصوتي وبين العناصر التنغيمية المصاحبة للألفاظ والجمل، وأيضاً بينها وبين الطول الزمني والطبقات الصوتية وألوانها مثل الهمس الرمزي واستخدام طبقة الفالستو التي يقلد بها الرجل الصوت النسائي الحاد «المسرسع» أو التهكم من صوت الشخص الضعيف.

فيتميز الأداء العربي بنظام لا يسود فيه التنغيم الخالص، بل بأداء يتميز برصف الألفاظ وتنضيد المباني في نغمات تتجاذب بين الصعود والهبوط، ويتراوح بين التلوين الصوتي وجرس الأصوات ومطلها[36].

وعندما نقرأ ما كتبه علماء التجويد في قواعد الأداء القرآني لا نجد ذكراً واضحا لظاهرة التنغيم ولو من الناحية النحوية (استفهام أو تقرير أو تعجب)، ولكننا نجد وصفا موجزا شاملا لكيفية القراءة التي سميت في وقت متأخر

بأسلوب القراءة، فقال ابن الباذش (ت ٥٤٠هـ) في باب اختلاف مذاهبهم في كيفية التلاوة وتجويد الأداء:

«اعلم أن القراء مجمعون على التزام التجويد، وهو إقامة مخارج الحروف وصفاتها، فأما أسلوب القراءة من حدر وترتيل، بعد إحراز ما ذكرنا، فهم متباينون غير مستوين»[37].

وقد تعددت أساليب القراءة بين القراء أو اختلفت طرق الأداء والتلاوة في النص القرآني في النواحي التي تزيد على المستوى الأساسي للقراءة وللتجويد الذي ينأى بالتحقيق عن اللحن. وقد حصر الأهوازي أساليب القراءة وجعلها على عشرة أضرب. وهي قوله:

«أعلم أن القرآن يقرأ على عشرة أضرب: بالتحقيق، وباشتقاق التحقيق، وبالتجويد، وبالتمطيط، وبالحدر، وبالترعيد، والترقيص، وبالتطريب، وبالتلحين، وبالتحزين»[38].

وأجاز القراء خمسة منها ولم يجيزوا خمسة، فقال الأهوازي:

«سمعت جماعة من شيوخي يقولون: لا يجوز للمقرىء أن يقرىء منها بخمسة أضرب: بالترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين. وأجازوا الإقراء بالخمسة الباقية، إذ ليس للخمسة أثر، ولا فيه نقل عن أحد من السلف، بل ورد إلينا أن بعض السلف كان يكره القراءة بذلك»[39].

أما ما أورده د. غانم قدور الحمد عن إدراك علماء التجويد لظاهرة التنغيم فلم يتعد طرق الأداء المعبر للنصوص التي يجب أن يتحلى بها المؤدي الجيد والقارىء البارع. والدليل على ذلك أن إهمال هذا الجانب أو قلة ضبطه وتحقيقه يعد لحنا خفيا لا يدركه إلا نحارير القراء، وليس باللحن الجلي الذي يعد خطأ يجب تداركه وفحشا يجب تجنبه، ومن أمثلة ذلك ما قاله أبو العلاء الهمذاني العطار(ت ٥٦٩هـ) في مخطوطته(التمهيد في علم التجويد):

«وأما اللحن الخفي فهو الذي لا يقف على حقيقته إلا نحارير القراء ومشاهير العلماء، وهو على ضربين: أحدهما لا تعرف كيفيته ولا تدرك حقيقته

إلا بالمشافهة وبالأخذ من أفواه أولي الضبط والدراية. وذلك نحو تقادير المدات، وحدود المحالات والملطفات والمشبعات والمختلسات، والفرق بين النفي والإثبات، والخبر والاستفهام، والإظهار والإدغام، والحذف والإتمام، والروم والإشمام، إلى ما سوى ذلك من الأسرار التي لا تتقيد بالخط، واللطائف التي لا تؤخذ إلا من أهل الإتقان والضبط»[40].

وقال السمرقندي (ت ٧٨٠هـ) في قصيدته (العقد الفريد):

إذا (ما) لنفيٍ أو لجَحْدٍ فصوتَهَا اَرْ فَعَنْ وللاستفهام مَكِّنْ وعَدّلا

وفي غير اخفضْ صوتَها والذي بما شبيهٌ بمعناه فقِسْهُ لتفضُلَا

كهمزة الاستفهام مَعْ مِنْ وأن وإن وأفعل تفضيل وكيفَ وهَلْ ولَا

وهذه التعليمات وأمثالها تعليمات فنية ترشد القارىء إلى مهارة الأداء الفني أو التنغيم التعبيري، وليس التنغيم النحوي أو الانفعالي كما يبدو لنا من الوهلة الأولى. وحتى إذا ما أطلقنا عليه التنغيم التعبيري فهو ليس بتنغيم بمعناه الاصطلاحي الدقيق، ولكنه نوع من النغم يتجاذب بين الصعود والهبوط كما وصفه ميتشل Mitchell[41].

وهذه الخصائص الأدائية التنغيمية مجازا هي الخصائص الأولية اللسانية التي تتسم بها اللغة العربية الفصحى منذ بواكير نشأتها، وقد سجلها القرآن الكريم أصدق تمثيل، ويتشاكل ذلك مع ما قاله مصطفى صادق الرافعي عند وصفه للقراءة وطرق الأداء القرآني:

«واجتماعها من ذلك على تأليف صوتي يكاد يكون موسيقيا محضا، في التركيب والتناسب بين أجراس الحروف والملاءمة بين طَبيعة المعنى وطبيعة الصوت الذي يؤديه . . . . . فكان مما لا بد منه بالضرورة أن يكون القرآن أملك بهذه الصفات كلها، وأن يكون ذلك التأليف أظهر الوجوه التي نزل عليها، ثم أن تتعدد فيه مناحي التأليف تعددا يكافىء الفروع اللسانية التي سبقت بها فطرة اللغة في العرب، حتى يستطيع كل عربي أن يوقع بأحرفه وكلماته على

لحنه الفطري ولهجة قومه، توقيعا يطلق من نفسه الأصوات الموسيقية التي يشيع بها الطرب في هذه النفس، مما يسمونه في لغة العرب بيانا وفصاحة وهو في لغة الحقيقة الموسيقى اللغوية»[42].

وبعد أن مر زمان تطورت فيه اللغة العربية ولم تعد تستعمل أدوات المعاني أو قل فيها استخدام الأدوات النحوية ذات الدلالات الإنشائية والإخبارية والتوكيدية والانفعالية، وبعد أن فقدت لهجات العربية علامات الإعراب وبعض الأبنية النحوية والصرفية، اعتمد أبناء العربية ولهجاتها على التنغيم للتعبير عن كثير من عواطفهم وانفعالاتهم وتصديقاتهم. وبعد أن اتصل اللغويون العرب المعاصرون بالدراسات الأوروبية تنبهوا إلى التنغيم، وقام بعضهم بدرسه في اللغة العربية ولهجاتها.

فقدم لنا د. تمام حسان عرضا موجزا لقوالب التنغيم في اللغة العربية مقيسة على ما جربه وقاسه في لهجة عدن أثناء بحثه في لندن وهي كالتالي:

قالب النغمات	الدلالة النحوية أو الانفعالية
الإيجابي الهابط	تأكيد الإثبات تأكيد الاستفهام بأدوات الاستفهام
الإيجابي الصاعد	الاستفهام بهل أو الهمزة
النسبي الهابط	الإثبات غير المؤكد التحية، والكلام التام وتفصيل المعدودات
النسبي الصاعد	الاستفهام بلا أداة أبدا
السلبي الهابط	التسليم بالأمر وعبارات الأسف والتحسر
السلبي الصاعد	التمني والعتاب

وفي موضع آخر يوضح د. تمام حسان نظام التنغيم في اللغة العربية الفصحى ويبين قواعده فيقول[43]:

«إن كل نوع من أنواع الجمل يتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف فيه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من المثال. . . حيث تقوم الصيغة مقام القالب بالنسبة للمثال»[44].

وبين لنا الدكتور تمام حسان وظيفة التنغيم في الإطار الشامل للغة العربية ونظامها العام حيث يعد التنظيم قرينة من قرائن عدة في عملية التواصل اللغوي بين المتكلم والمستمع وتأثر كل منهما بالموقف نفسه. وفي ذلك يقول:

«قد تسقط قرينة النغمة لوضوح الكلام بدونها كحالك حين تقرأ قوله تعالى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ فإنك لو وقفت عند لفظ الجلالة، فإنك لا تقف في التلاوة بنغمة الاستفهام ولكن بنغمة الترتيل العادي، ولا يحس السامع غرابة في ذلك كما يحسها لو سمع منك جملة (هل رأيت محمدا؟) بنغمة التقرير التي في (قد رأيت محمدا) مثلا.

فالقرائن تتضافر على إيضاح المعنى الوظيفي النحوي. والقرينة تسقط عند إغناء غيرها عنها. وفي إدراك هذه الحقيقة تفسير لكثير مما عده النحاة مسموعا يحفظ ولا يقاس عليه أو عده شاذا أو قليلا أو نادرا أو خطأ»[45].

ولكن ينتهي الأمر ويبدأ عند استخدام صفات الأصوات ومطلها تلوينا وتعبيرا لقصد المتكلم العربي وتصويره للجمل والنصوص:

«فإذا قال (المتكلم) بلاد بعيدة، فوق، رايح جاي - عبر عن شدة البعد بمد الياء مدا طويلا والفتحة في بعيده. . . . وفي فوق يمد حرف المد منها بصورة ملحوظة»[46].

وبذلك لا يرى البحث أن التنغيم ظاهرة أصيلة في نظام اللغة العربية أي ليس له وجود فونولوجي محدد كما هو الحال في بعض اللغات وبخاصة اللغة الإنجليزية. والدلائل على ذلك نراها عندما نقارن حال اللغة العربية - من خلال المعايير التي تحدد فونولوجية التنغيم.

فهناك ست خصائص تجعل من التنغيم ظاهرة لغوية أصيلة في نظام اللغة، وبالتالي نستطيع أن نخضعه للتحليل الفونولوجي والنحوي وهي:[47].

1 - أن يكون التنغيم نظاميا منتظما في البعدين: الاستبدالي paradigmatic والنظمي syntagmatic. أي أن تكون قوالب النغمات منتظمة مع الوحدات القطعية والمقطعية والمعجمية للمنطوق في آن معا، بالإضافة إلى إسهامها المتميز في العبارة المنطوقة ككل.

2 - أن تتواضعه التقاليد الثقافية، فلا يكون مجرد صدور عن الفسلجة (الآلية الفسيولوجية) البشرية فحسب، أي يخضع السلوك التنغيمي للتحليل البنيوي (التركيبي) كأي كيان فونولوجي.

3 - أن يكون مقصودا صادرا عن تواصل واع به، أي أن يتميز التنغيم عن النحو لأن كلا منهما قد يقدم دلالة مختلفة عن الآخر وسط التركيب الشامل للمنطوق.

4 - أن يكون اعتباطيا، أي يربط بين الرمز والدلالة دون ضرورة ملزمة. وتختلف فيه النغمات في أكثر المقاطع بروزا في آخر العبارة المنطوقة، ويرتبط هذا باقتصاد الجهد في الرموز، مما يجعل هذا الجزء محط الاختيار في إصدار القوالب المختلفة، ومن ثم في تلقي الاختلافات في القصد.

5 - أن يكون متمايزا له سماته المحددة المستقلة وليس درجة في سلم متصل التصنيف، فمن وظائف التنغيم أن يبرز بعض أجزاء وحداته اللغوية المنطوقة مما يجعلها محورية في فهم المعنى المقصود، وأن تتآزر هذه الأجزاء مع التنظيم العروضي prosodic للنبر والإيقاع مع تميزهما عن الغلالة النغمية.

6 - أن يكون ذا سمة تتميز به اللغة عن غيرها من اللغات في قالبه وتحقيقه.

الهوامش والمراجع

(1) انظر: - Bolinger, Dwight: "Intonation Across Languages" In **UNIVERSALS OF HUMAN LANGUAGE.** Edited by J.H. Greenberg.-Volume 2 Stanford University Press, 1978: p. 474.

(2) انظر: - Roach, Peter: Introducing Phonetics, Penguin Books, (1992) P. 104.

(3) انظر: - Mitchell, T.F., Pronouncing Arabic I Clarendon Press- Oxford, 1990, pp. 121-130.

(4) انظر: - Cruttenden, 1986, p. 157-165.

(5) انظر: - Wode, Henning:
"Some theoretical implications of L2 acquisition research and the grammer of Interlanguage" In Davis, A., Criper, C., Howatt A.P.R. (eds): **INTERLANGUAGE**, Edinburgh University Press, 1984, . P. 174.

(6) انظر: - H. Wode, p. 177. Ibid.

(7) - Tervoort, B.T.: You Me Down Movie Fun? In F. W. Householder (ed.): **SYNTACTIC THEORY**, Penguin Books, 1972, p. 308

(8) «التعدي يقابل المصطلح transitivity وهو التعدي واللزوم، و «الموجهات» ويقابل Modality وهي «الجهة» في علم المنطق عند العرب، والموضوع المحوري ويقابل Focus وهي بؤرة أو مركز الاهتمام.

(9) المرجع نفسه ص 249.
وقد اخترنا ترجمة المصطلح الإنجليزي mood (أو modality) الذي يقابل المصطلح الفرنسي Modalites بالمصطلح العربي «الموجهات» تبعا للدكتور محمد مفتاح في كتابه: **تحليل الخطاب الشعري**، الدار البيضاء: نشر المركز الثقافي العربي، 1992، ص 151.

(10) انظر: A. Gruttenden, p. 161. إلا أنه في اللغة العربية تقوم الهمزة بالنوعين: التصديق والتصور.

(11) - Cruttenden, Ibid.

(12) انظر: - Cruttenden, p. 164.

(13) انظر: - Palmer, F.R.: **Mood and Modality**, Cambridge University Press, 1986, p. 30.

(14) - Palmer, Ibid.

(15) انظر: هذا البحث ص 11-15.

(16) - Schubiger, Maria English Intonation and German Modal Particles: Comparative Study. In Bolinger, D. (ed.): **INTONATION** Penguin Books, 1972, P. 176.

(17) - Schubiger, P. Ibid.

(18) - Schubiger, pp. 176-185, Ibid.

(19) الصاحبي لابن فارس، ص 182، وانظر: طارق الجنابي «أسلوب النداء: دراسة لغوية صوتية» في **أبحاث عربية** في الكتاب التكريمي للمستشرق الألماني ف. فيشر، إعداد وإصدار د. هاشم إسماعيل الأيوبي، 1994، ص 89-90.

(20) أبحاث عربية، ص 155، وأيضاً: ابن هشام، جمال الدين: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جـ 2، حققه وعلق عليه د. مازن المبارك وآخر، بيروت: دار الفكر، ص 40.

(21) ابن يعيش النحوي، الشيخ موفق الدين: **شرح المفصل**، جـ 2، بيروت: عالم الكتب، دون تاريخ، ص 13.

(22) **الأمالي لأبي علي القالي**، جـ 2، ص 13، 14.

(23) تختلف قواعد النداء والمخاطبة والتصغير بحسب شكل الأسماء ونوعها وسنورد إن شاء الله بحثا يختص بذلك.

(24) هناك العديد من الأمثلة في اللغات السامية ليس المقام هنا لحصرها أو سردها. انظر لمحمد عطية الإبراشي، **الآداب السامية** ص 60 حيث يتحدث عن خواص اللغة السريانية.

(25) - Bolinger, D.: Aspects of Lan Uage Harcourt Brace Jovanovich, Inc, New York, 1975, P. 156.

(26) - Bolinger, Ibid.

(27) انظر: «أسلوب النداء دراسة لغوية صوتية»، أبحاث عربية، ص 98.

(28) «أسلوب النداء دراسة لغوية وصوتية»، أبحاث عربية، ص 90.

(29) «أسلوب النداء دراسة لغوية وصوتية»، ص 155.

(30) ابن هشام، جمال الدين: **الإنصاف في مسائل الخلاق**، المسألة 45، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، الطبعة الثالثة، مصر: مطبعة السعادة، 1955، ص 181.

(31) انظر: شرح المفصل، ومغني اللبيب، والأمالي.

(32) مثل د. تمام حسان: **مناهج البحث في اللغة**، القاهرة: مكتبة الأنجلو، 1990، ص 3-164. د. أنيس فريحة: اللهجات وأسلوب دراستها، محاضرات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة: جامعة الدول العربية، 1955، ص 70 وأيضاً من المستشرقين: هنري فليش: العربية، نحو بناء لغوي جديد، تعريب وتحقيق د. عبدالصبور شاهين، بيروت: دار المشرق 1983، ص 49، 182.

(33) مثل: عبدالقادر أبو شريفة وآخران: **علم الدلالة والمعجم العربي**، الأردن: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1989، ص 40.

(34) انظر: علم الدلالة والمعجم العربي، ص 42.

(35) انظر: - Mitchell, T.E.: Pronouncing Arabic II, Clarendon Press- Oxford. 1993., P. 226.

(36) - Mitchell, Ibid.

(37) نقلا عن د. غانم قدور الحمد: **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، بغداد: وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، 1986، ص 554. من مخطوطة: **كتاب الإقناع** 1/ $\frac{1551}{1552}$، **ومخطوطة مراتب القراءة** لابن الكيال (ت 929 هـ) في كتابه: **الأنجم الزواهر في تحريم القراءة بلحون أهل الفسق والكبائر**.

(38) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 562. ولمزيد من الشرح والإيضاح، اقرأ المرجع من ص562 إلى ص 569.

(39) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد.

(40) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص 567.

(41) انظر: - Mitchell (1993), P. 226, Ibid.

(42) مصطفى صادق الرافعي: **تاريخ آداب اللغة العربية**، جـ 2، بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي، 1974، ص 46، ثم انظر أيضا: ص 59.

(43) لمزيد من التفاصيل والتوضيح، انظر: مناهج البحث في اللغة، ص 168 - 169.

(44) تمام حسان: **اللغة العربية: معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1985، ص 308.

(45) اللغة العربية: معناها ومبناها، ص 240.

(46) اللغة العربية: معناها ومبناها، ص 310.

(47) - Laver, J.: Principles of Phonetics, Cambridge University Press, 1994.